

التراث الشعبي الديني ودوره في الترويج السياحي. د. بن مزيان حنان د. مسعودي الطاهر جامعة المدية

ملخص:

إن الدين يلعب دورا أساسيا ومهما في تأسيس بعض ركائز الحياة اليومية ودعمها وتعزيز بعض جوانبها من خلال دوره في الأسرة والتكافل الاجتماعي وفي وحدة المشاعر ووجدان الجماعات المختلفة الموجودة في المجتمع والتي يظهر هذا الأخير من خلال بعض الممارسات الاجتماعية الثقافية كالشعائر والطقوس الدينية وتشبيد المساجد والمعابد والأضرحة والمعالم الأثرية ذات الصبغة الدينية، والتي تعبر عن ثقافتهم وانتمائهم الروحي الديني عبر الأزمنة بين مختلف الشعوب، والذي يتم نقلها عبر صيرورة التنشئة الاجتماعية والتي تركز على الحفاظ على هذا التراث الشعبي الديني المتوارث عبر الأجيال من خلال تقديم الطاعة والاحترام والالتزام والخضوع والخنوع له .

ولهذا نهدف من خلال هذه الورقة البحثية على تسليط الضوء على التراث الشعبي الديني ودوره المحوري في تنمية السياحة وترويج لها .

الكلمات المفتاحية: الدين، التراث الشعبي، السياحة.

Abstract:

Religion plays an important and important role in establishing some of the pillars of daily life and supporting them and enhancing some aspects through their role in the family and social solidarity and in the unity of feelings and the existence of the different groups in society which show the latter through some socio-cultural practices such as rituals and religious rites and the construction of mosques, The shrines and monuments of a religious nature, which reflect their culture and their spiritual and religious affiliation through the times between the different peoples, which are transferred through the process of socialization and based on the preservation of this heritage inherited religious heritage The righteousness of generations by offering obedience, respect, commitment and submission and submission to him.

In this paper we aim to shed light on the popular religious heritage and its pivotal role in tourism development and promotion.

Keywords: religion, folklore, tourism.

1-تعريف التراث:

هو شكل ثقافي متميز يعكس الخصائص البشرية عميقة الجذور، ويتناقل من جيل إلى آخر، ويصمد عبر فترة زمنية متفاوتة نوعيا ومتميزة ببنيًا، تظهر عليه التغيرات الثقافية الداخلية والعادية ولكنه يحتفظ دائما بوحدة أساسية مستمرة .¹

كما أن مفهوم لا يكتمل دون أن يقترن بمفهوم الحفاظ والإحياء وهو لا يكون تراثا إلا إذا أحس وارثوه بضرورة التعرف عليه والكشف عنه وحمايته وإحيائه، والإفادة من قوته الكامنة التي تبرز إلا على قدر وعيهم بذلك التراث وحرصهم على امتلاك وتحقيق الذات من خلال تواصل الإبداع فيه وتحمل مسؤولية نقله إلى الأجيال القادمة.

2-أنواع التراث: لفهم التراث ينبغي أن ينتقل من التعميم إلى التخصيص ولهذا فقد الثقافة العربية التراث إلى ثلاثة أقسام :

2-1-تراث مادي : كالمباني الأثرية وما تكشفه الحفريات وتضمه المتاحف ، وكلها تمثل عصورها بشكل أو بآخر .

2-2-تراث فكري: قوامه السابقون من علماء وكتاب ومفكرين ومسؤولين سياسيين كانوا شهودا على عصورهم ومبدعين من خلالها.

2-3-تراث اجتماعي: قوامه قواعد السلوك والعادات المجتمعية والأمثال والتقاليد ومنظومة القيم الاجتماعية ، وهي تشكل بناء خلقيا متماسكا طويل الدوام كبير الضغط والتأثير على الأفراد وأن يكن مقيما وراء الشعور والوعي في غالب الأحيان .

وينقسم كل قسم من هذه الأقسام إلى عدة أصناف :

-التراث المادي ويشمل :

أ-الآثار الثابتة :مثل بقايا المدن التاريخية والعماثر الدينية والمعالم المعمارية والعسكرية والمنشآت المادية والزراعية والمدافن ونحوها.

ب-الآثار المنقولة : مثل المنحوتات والمواد المنقوشة والمخطوطات والمسكوكات والأدوات الفخارية والحرفية والزجاجية والمنسوجات والأسلحة وأدوات الزينة.

ج-المنتجات الحرفية الأصلية التي توقف انتاجها بالطرق التقليدية التي توارثها الناس لكونها شواهد تراث مميز يعكس الهوية المحلية وحل محله انتاج الي او استهلاكي محاكية في الصنعة وتخالفه في الجودة والقيمة والجهد البشري.

-التراث الفكري: ويشمل ثلاث أصناف:

أ-ما ورث عن السلف من العلوم والمعارف الدينية.

ب-العلوم والمعارف الطبيعية كعلوم الاوائل والتراث العلمي الاسلامي في مجالات العلوم الطبيعية المختلفة .

ج-الفنون الادبية والفنون الزخرفية والمخطوطات .²

-التراث الاجتماعي : ويشمل :

أ-الموروثات الشفهية كالحكايات والأمثال و الأزجال واللهجات.

ب- العادات والسجايا والأزياء وغيرها من التقاليد الاجتماعية.

ج-الفنون الشعبية كالغناء والموسيقى والرقص والأهاريج.

ورغم أن التراث العربي في مجمله ليس نتاجا بسيطا واحدا ولا ينتمي لعصر محدد أو بقعة واحدة أو جماعة معينة وإنما مركب ثقافي معقد ،فيه أشتات من رواسب الزمن والحياة والسلوك .³

الا أنه يتميز بوحدة أساسية مستمرة تستمد جوهرها من أصول مشتركة في الجغرافيا والتاريخ واللغة ، والواقع المعاش اليوم يجسد هذه الوحدة كمحصلة تنمي اليها شتى فروع الثقافة في الوطن العربي .

وهذه المحصلة التراثية لا يمكن استيعابها اليوم دون فهم الاسلام (دين التوحيد ومنظومة قيمه الدينية) الكامن في نسيج هذا التراث التكويني، بل انه من المعتذر الحديث عن تراث عربي محض دون الحديث عن الاسلام نظرا لاسهامات وانجازات الجليلة للديانة الاسلامية للبشرية بكل مظاهرها وتأثيرها على ما يحيط بها من العالم الغربي .

كما يعتبر كتاب أهل تراث الاسلام هو العالم المسلم وفي صميم هذا العالم العربي الذين هم مادة الاسلام وحملة رسالة الاسلام ومن أرضهم انطلقت الدعوة وكان صاحبها عربيا ، وبلسانهم تنزل القرآن الكريم حتى أن كل قول بعده لا يخرج عن كونه بعض حواشيه وأنه جمع فأوعى جوهر ما قبله وجاء في سورة الزمر الآية 39 (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون قرانا عربيا غير ذي عوج لعلمهم يتقون).

والتراث العربي بهذا المعنى هو تراث اسلامي ذو هوية عربية اسلامية ولا يمكن الحفاظ عليه استلهاهم القيم الدينية تثبيتا لأركان تلك الهوية .

ونشير هنا أيضا أن التراث بأنواعه المادية والاجتماعية أصبح هو أيضا موضوعا لعلم هام آخر هو التراث الشعبي ويرفد علوما إنسانية عديدة وخاصة علم الأنثروبولوجيا .

2-تعريف التراث الشعبي Folk tradition :

يشير مفهوم التراث الشعبي بصفة عامة إلى عناصر الثقافة الشعبية التي تتناقل من جيل إلى آخر (4) عن طريق التنشئة الاجتماعية داخل المجتمع (5) .

او جماعة اجتماعية محددة ،ويستخدم التراث الشعبي في المعنى الثقافة اليومية التقليدية أو الثقافة الشعبية⁶ التي تنتقل اجتماعيا⁷ على نحو أفقي ورأسي ،ويكتسب التراث صفة "التقليدية" لكونه يضم مخزونا ثقافيا اجتاز فترة من الزمن في نفس الملامح العامة التي يظهر بها .أما صفة "الشعبية" في التراث فتعني أن الشعب يمثل الاطار الذي يضم جملة التراث والمؤمنين به والممارسين له والمبدعين لكل عناصره.الأفكار أو المواقف الانسانية العامة ،أو ما يعرف بالأفكار الأساسية كما أنها تهتم بالبحث عن تصورات الناس عن بعض الظواهر الطبيعية النفسية⁸ ،وتشمل العديد من أشكال التعبير الثقافي التي تنعكس فيها روح الابداع البشري والتي تتواجد كذلك بحدود معينة في كثير من مجالات التراث الثقافي غير المادي ،فنتصل اتصالا وثيقا بتصورهم للعالم وفهمهم لتاريخهم وذاكرتهم ،كما تعد أنشطة اعتيادية تنهيكل حولها حياتهم ويعتبرونها ذات صلة بواقعهم ،لذلك فهم يمارسونها بطريقة عفوية ومقدسة دون أن يجدوا لذلك مبرر ،والأمر الذي أكسبها قيمة هو أنها تؤكد بالنسبة لممارسيها هوية الجماعة .⁹

والتراث الشعبي قد يكون "الفلكلور" والتراث الروحي أو الجماعي للشعب وترى بعض التعريفات انه يشمل التراث الشفاهي بالدرجة الأولى.

3-التراث الشعبي الديني وسبل الجذب السياحي :

ان التراث الشعبي يتعرض ضمن جوانب الحياة التقليدية لوطأة التبديلات والتعديلات الناتجة من تبني أساليب الحياة الحديثة ،والناشئة من التوسع في الاستخدامات التكنولوجية الحديثة ،والمتأثرة أعظم التأثير

بتغيير البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،وفقا لضرورات التحضر urbanization والتحديث Modernization¹⁰.

ويزيد من وطأة هذه العوامل ويضاعف من انتشار تأثيرها وتلك الاستخدام القوى الدائب ،لما تقدمه المعرفة العلمية الحديثة وتطبيقاتها في مجال وسائل الاتصال الجماهيرية ،لقد أصبحت الكرة الأرضية كلها بمثابة "القرية الصغيرة " في مواجهة التقدم في الاستخدامات التكنيكية المطبقة في وسائل الاذاعة والتلفزيون بالاضافة إلى تأثير وسائل الاتصال الجماهيرية الحديثة على سلوك الناس وتأثيرها المتزايد في تبني أساليب الحياة الحديثة ،فان عوامل المخالطة البشرية المتمثلة في الهجرة والاستيطان والسياحة أصبحت في مقدمة دواعي التغيير الناشطة بالنسبة لمختلف الثقافات .¹¹

وهذا ما يسعى اليه التراث الشعبي إلى تنمية ثقافة سياحية رامية إلى تقديم مهارات واتجاهات ومعلومات حوله لجميع أفراد المجتمع محليا ودوليا ،والتي هي بدورها تعمل على احلال قيم جديدة تتماشى مع البيئة المحيطة بالفرد هدفها رفع مستوى المعيشة .¹² ورفع درجة الوعي السياحي لدى جميع أبناء طبقات المجتمع في أماكن الجذب السياحي من العاملين بالجهات والادارات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية التي تتعامل مع السائح ،اذ أن انطباع السائح الايجابي من سكان المدينة المقدسة يحقق مزيدا من التدفق السياحي،ناهيك على العمل على التوسع في مشروعات الايواء الفندقية والمنتجعات بدرجات متفاوتة تتناسب مع مستويات دخول السائحين حتى يتيسر له الاختيار بين بدائل الاقامة وفق قدرته وقوته الشرائية وهذا ينطبق على مجال السلع والخدمات ولاسيما في أماكن شراء الهدايا وبيع التذاكر والصناعات التقليدية وأن تكون هناك قوائم محددة للأسعار أو نشرات دعائية بالخدمات والسلع المختلفة وكيفية الحصول عليها¹³

فلطالما كان الفضول المحرك الأساسي للفرد ،ورغبته في الاطلاع على تجارب جديدة والتقرب إلى شعوب وتقاليد مختلفة خاصة الشعوب العربية الاسلامية التي تشترك في التراث الاسلامي ،ورغم ما تنتجه السياحة من فرص للتبادل الثقافي وربط العلاقات بين الأفراد وحتى الدول الا أنها قد تحمل اثارا عكسية على الصعيد الثقافي هذا من جهة ومن أخرى تساهم في احياءه وذلك بمشاركة الجماهير في اعداد برامج لتنمية الثقافة السياحية الترويجية لتتحول هي الاخرى إلى محرك جوهري وسفير للتراث الشعبي الديني بهدف التعريف عن نفسه والخروج من الحياة الروتينية التي يعيشها وقد تكون أسبوعية أو شهرية أو سنوية ،ويمكن للسائح في هذا النمط من ممارسة العديد من الأنشطة الترفيهية.وقد تكون في مكان معتاد متكرر أو مكان متعدد في كل مرة .

وفي مواجهة عوامل التغيير نرى أن مادة المأثورات الشعبية يحكمها قانونان أساسيان هما: قانون الاستمرار وقانون نشوء البدائل.

أما قانون الاستمرار: فيعني لنا أن الابداع الشعبي يظل يودع مأثوره الدارج خلاصة تجاربه وذخائر قوله وفنه وضوابط سلوكه واخلاقه ومعتقداته ويظل يوظف هذا المأثور لكفاية حاجة تكون قائمة في حياته

،ويظل يذيعه ويتناقله ويردد وقد يقتدي به ويتناقله من بيئة ومن جيل إلى جيل ،ويصف هذا النظر على المأثور الشعبي في سائر عصوره ومراحل تاريخه ما مضى منها وما يأتي في المستقبل. أما قانون نشوء البدائل في المأثورات الشعبية:

فيعني لنا أن استمرارية هذا الابداع الشعبي تماثل استمرارية الحياة ذاتها ففيها جزئيات تموت وجزئيات تولد ،وفيها نماذج تفقد وظائفها ودلالاتها وتخفي ونماذج أخرى تكتسب وظائف جديدة أو دلائل جديدة ،وفيها أنماط تتحول وأنماط تتجمد وفيها مأثورات ينكمش مدارها ومأثورات تقيم وتحل مأثورات أخرى وفيها مأثورات تهاجر وتستقر في مواطن استعمال جديدة¹⁴.

وكما يشير الدكتور سعيد المصري بقوله بالرغم من أننا نسلم بأن عوامل التغيير التي تأتي نتيجة لتطبيق الحياة الحديثة ونتيجة للمخالطات الثقافية والبشرية هي عوامل بالغة التأثير والنفوذ على مادة التراث الشعبي وأشكاله إلا أننا نرى -من جانب أخرى- أن هذه المأثورات الشعبية تملك من عناصر المرونة والخصوبة والقدرة على الملاءمة ما يجعلنا نرفض جانباً ذلك الظن القائل بأن الحداثة ستقضي بالضرورة على سائر جوانب المأثور الشعبي وسائر أنواعه وستلغي وظائفه وتلغي المبرر لوجوده

كما أوضحت بعض الدراسات تعديلات أجريت في مضمون عناصر التراث الشعبي لتجعلها أقدر على الحياة والاستمرار فمثلاً الممارسات العلاجية شعبية قديمة تستمر وتتواصل ولكن بعد أن تغير فقط في مسماتها أي أنها لا تغير لا في شكلها ولا في مضمونها ومن ذلك عشرات ومئات الممارسات التي أصبح يطلق عليها العلاج بالقرآن أو العلاج بأسماء الله الحسنى... الخ

وهذا ما يلاحظ من توافد السياح من جميع البلدان اقتناعاً بهذه الممارسات الدينية الروحية والتي يكون الغرض منها التداوي وتحسين الجسد من الشرور ،ومن هنا وبالرغم من التصور الشائع عن تقليدية التراث فإن الممارسات الإبداعية تمثل مكوناً أساسياً والية حيوية لاستمرار هذا التراث حياً وفاعلاً في حياة الناس في كافة المجتمعات¹⁵

4-المشكلات التي تواجهها الأنثروبولوجيا الدينية في العالم العربي:

مشكلتنا في العالم العربي أن مثل هذه الدراسات الأنثروبولوجيا للإنسان وديانته غائبة لأسباب كثيرة منها: -التمركز حول الذات والمعتقد الديني سواء كان ذلك من جانب المسيحية الشرقية أو من جانب الثقافة المسلمية ،وليس الاسلامية وتقادي هذه الشعوب تعريف الفرد بتعدد الديانات ،وتعدد المذاهب وتعدد الشعوب ،والزج بكل ما هو ليس من دياناتنا في مفهوم واحد يتمثل في مفهوم الشرك أو الكفر ،حتى أن المتقنين الذين قد يعدون شيئاً حول الديانة الهندوسية وعلى الرغم من أن الهندوس يعدون حوالي ثلاثة أرباع المليار في العالم وأكثرهم الهند الذين لا يكادون يعدون على الأصابع.¹⁶

-حداثة الدراسات الاجتماعية في المجتمعات العربية وعلى الرغم من وجود أقسام أكاديمية للأنثروبولوجيا في كل من مصر ولبنان والأردن حالياً ،إلا أن القوانين والأنظمة في هذه الجامعات وميزانيات البحث العلمي لها لم تعمل على تشجيع الدارسين في القيام بمثل هذه الدراسات وهي دراسات مكلفة.

-لقد أدى تطور المجتمعات العربية والمسلمية الحديث العهد إلى التركيز حول الثقافة المحلية وتنمية الروح الدينية المحلية بحيث أصبحت الدولة الحديثة في المجتمعات العربية المسلمية هي المبشر بالديانة المحلية

وتشجيع الروح بحيث أن القوانين الأساسية في الجامعات تنادي بتنمية الشعور الديني الاسلامي ،وبذلك توجب بتقادي المعرفة حول تعدد الديانات في العالم وأخذت تدخل التعاليم الدينية التوحيدية في المناهج الدراسية غير ابهة بتسمية من هم من غير هذه الديانات بالكفرة والمشركين.

-هناك الشعور والقناعة كما توحى لنا الكتابات العربية حول الديانة بأن هناك مؤامرة ضد الاسلام والمسيحية في العالم وأن المعلومات التي قد تنادي بتنوع الديانات هي من باب السعي وراء اضعاف الروح الدينية الاسلامية في العالم العربي أو العالم الذي يدين بالاسلام وربما أن هذا هو سبب الانغلاقية تجاه التعرف على معتقدات الشعوب الاخرى التي لا تدين بالديانة التوحيدية.

في المجتمعات العربية والتي تدعو ذاتها مجتمعات اسلامية من خلال رجال الدين وصبغة المجتمع بالصبغة الاسلامية أو المسيحية ،وعلى الرغم من وجود تيارات أخرى تدعو إلى التعرف على الانسان في كل أرجاء المعمورة وعلى الديانات المختلفة التي يدين بها الناس في هذه الكرة الأرضية التي لم تعد حكرا على أصحاب ديانة وأصبحت بعد الثورة المعلوماتية كقرية واحدة ،فالتعليم الديني متغلغل في كل المناهج الدراسية في مدارسنا وذلك مدعاة لآخذ موقف من كل ما هو من غير ديانتنا علما ان ديانتنا لا تدعو إلى الانغلاقية.

قائمة المراجع:

- 1 يوسف محمد عبد الله،الحفاظ على الموروث الثقافي والحضاري وسبل تنميته،جامعة صنعاء ،الهيئة العامة للآثار والمتاحف
- 1 والمخطوطات "تحت شعار نحو مستقبل واعد للسياحة في اليمن ، ص2
- 2 يوسف محمد عبد الله ،نفس المرجع السابق،ص ص 3-4
- 3 يوسف محمد عبد الله ،نفس المرجع السابق،ص4
- أيكة هولتراكرانس ،قاموس مصطلحات الانثولوجيا والفلكلور ،ترجمة محمد الجوهري وحسن الشامي ،الطبعة الأولى ،القاهرة ،دار المعارف ،1982،ص88
- شارلوت سيمور سميث،موسوعة علم الانسان ،المفاهيم والمصطلحات الانثولوجية ،ترجمة من مجموعة من أساتذة علم الاجتماع،اشراف محمد الجوهري ،القاهرة ،المجلس الأعلى للثقافة ،1997،ص243.
- 6 نفس المرجع ص243.
- 7 محمد الجوهري ،علم الفلكلور ،الجزء الأول، دراسة في الانثروبولوجيا الثقافية ،الطبعة الثالثة ،القاهرة ،دار المعارف ،1978،ص3
- فاروق أحمد مصطفى،الانثروبولوجيا ودراسة التراث الشعبي ،دراسة ميدانية ،دار المعرفة الجامعية ،الهيئة المصرية للكتاب ⁸
- الاسكندرية ،2008 ص229
- بلبلدية فتحة نور الهدى ،الموروث الثقافي واشكالية الجذب السياحي قراءة في الامكانيات والتحديات ،مجلة تنوير ،العدد السابع
- 9،سبتمبر 2018 ،ص224.
- 10 سعيد المصري،اعادة انتاج التراث الشعبي،المجلس الاعلى للثقافة،ط2012،ص12
- 11 نفس المرجع،ص13
- عيوني نجم الدين،الثقافة السياحية واستراتيجيات التنمية المستدامة بين ضرورة الاستراتيجية وخصوصية الفرد الجزائري-قطاع
- 12 السياحة نموذجا -مجلة تنوير،العدد السابع،سبتمبر 2018،ص162
- محمد حسن رضا القزويني ،السياحة الدينية وسبل تنظيمها بمنظور استراتيجي دراسة حالة محافظة كربلاء ،رسالة مقدمة لنيل شهادة
- 13 الدبلوم العالي في التخطيط ،جامعة القادسية ،كلية الادارة والاقتصاد ،2017،ص11
- 14 سعيد المصري ،نفس المرجع السابق،ص13
- 15 سعيد المصري ،نفس المرجع السابق ،ص 14 ص 16
- 16 مهنا يوسف حداد،الانثروبولوجيا الدينية أو العلاقات التبادلية بين ظاهرتي الحضارة والديانة ،دار اليازوري،ط2011،ص30